جامعة القاهرة

كلية دار العلوم

قسم الشريعة الإسلامية

جهود الإمام نجم الدين الطوفي (٧١٦هـ) في التفسير وعلوم القرآن

جمعًا ودراسة

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في التفسير

إعداد

الباحث/ يوسف مرزوق الضاوي[١]

إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد السيد الدسوقي

فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم شريف

أستاذ الشريعة الإسلامية - بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

للعام الجامعي: ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

---

(١) المدرس المساعد في قسم التفسير والحديث بكلية الشريعة جامعة الكويت.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أهمية الموضوع:

الحمد لله الذي أنار بكتابه القلوب، وأنزله في أوجز لفظ وأفصح عبارة وأجمل أسلوب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد ..

فإن الاشتغال بالأبحاث المتصلة بالقرآن وعلومه أجلُّ عمل وأشرفه، قال ابن خالويه[١]: (والاشتغال بتعلم القرآن وتعليمه والبحث عن علومه ليس كالاشتغال بسائر أصناف العلوم، لأن فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه)[٢].

وبدافع من ذلك أحببتُ أن أساهم ولو بجهد متواضع في أن أكشف اللثام عن جانب مهم من ثقافة عالمٍ من علماء المسلمين الأعلام، وهو الإمام نجم الدين الطوفي، الذي ذاع صيته في علم الفقه، وتألق نجمه في علم الأصول وبرع في علومٍ شتى كعلم البلاغة واللغة، وعلم العقيدة.

---

(١) هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه، من علماء اللغة والقراءة، يعد من أشهر من ألف في كتب الاحتجاج بالقراءات، ومنها: إعراب القراءات السبع وعللها، والحجة في القراءات السبع توفي – رحمه الله – سنة (٣٧٠هـ). انظر: غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٠هـ (١/ ٢٣٧)

(٢) إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه، تحقيق د. عبد الرحمن العثيمين، مكتبة الخانجي القاهرة (١/ ٣٥).

ومن بين تلك العلوم التي برز فيها نجم الدين الطوفي؛ علم التفسير وعلوم القرآن، فقد كان له فيهما القدح المعلي، والسهم الوافر، والجهد الفائق، والنتاج العلمي الغزير، وبرغم ذلك لم يأخذ حظه فيهما من الشهرة التي تعادل تلك التي نالها في الأصول والفقه أو تقاربها، فأزمعت – مستعيناً بحول الله وقوته – أن أسلط الضوء على هذا الجانب المهم من علم الطوفي وجهده، ونتاجه العلمي، التي أغفلته الدراسات الحديثة أو كادت، وما لم تغفله منها لم تعطه حقه كما ينبغي، فتقدمت بهذا البحث الذي يقوم على جمع تراثه العلمي في التفسير وعلوم القرآن، ودراسة هذا النتاج دراسة واعية ومنهجية أرجو أن تتجلى من خلالها مكانة الطوفي العلمية في هذا الميدان، حتى تنجاب عنه تلك السحب الداكنة التي كانت تحجب وجهه الحقيقي وتغيب معالمه، فيغدو صافياً متألقاً متوهجاً كقطعة ألماس تلمع من كل جانب، حتى تزاحم منزلته في التفسير وعلوم القرآن مكانته في الفقه والأصول، وهذا يحتاج إلى جهد كبير قد ينوء كاهلي الضعيف عن احتماله وتجشمه، فضلاً عن القيام به على أكمل وجه، فهي مسؤلية شاقة أرجو من الله العلي القدير أن يعينني عليها ويوفقني في تحقيق مطالبها، ويسددني في إظهار وجه الحقيقة في دراسة تليق بأمثال هذا الإمام، وإن كان هناك تقصير فعزائي أني اجتهدت في استقراء جهوده ودراستها واستخلاص منهجه منها فإن أصبت فمن الله جلَّ في علاه، وإن قصرت يدي عن شيء أو كلَّ جهدي في أمر فمن نفسي ومن الشيطان، و أستغفر الله عن كل خطأ أو تقصير، وهو حسبي ونعم الوكيل .

أسباب اختيار الموضوع:

وقع اختياري لهذا الموضوع لعدة أسباب تقدم بعضها في أهمية الموضوع، ومن أهمها:

١. تميز الإمام الطوفي في التفسير، وبراعته فيه، واتباعه طريقةً فريدةً لم يسبق إليها وهي التركيز على استنباط مسائل علمي أصول الفقه وأصول الدين من آيات القرآن الكريم، وهي الطريقة سار عليها في كتابه "الإشارات الإلهية"، فأردت من خلال البحث كشف النقاب عن لون جديد من ألوان التفسير جاء به الطوفي وهو التفسير الأصولي، وقد وصف الدكتور مصطفى زيد كتاب الإشارات الإلهية بقوله: (والكتاب أشبه بتفسير القرآن، غير أنه تفسير أصوليّ، يقصد به صاحبه إلى بيان ما في القرآن من أصول ولعله هو التفسير الوحيد من نوعه)[١].

٢. تنوع معارف الطوفي واتساعها، وسلوكه أكثر من منهج في تفسير القرآن الكريم في مصنفاته الأخري غير كتابه الإشارات الإلهية مما حفزني على تتبعها ودراستها.

٣. عدم وجود دراسات سابقة متخصصة في التفسير وعلوم القرآن عند الإمام الطوفي؛ إلا ما ندر وشابه القصور في الاستقراء؛ وما وجد من ذلك كان مجملاً لا يفي بالغرض، وقد دعت إليه ضرورة تحقيق كتاب من كتب

---

(١) المصلحة في التشريع الإسلامي ونجم الدين الطوفي، د. مصطفى زيد، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ، ص١٠٩.

الطوفي؛ مثل الإشارات أو مجموع فيه تفسير بعض السور، أو غير ذلك، خدمة للنص المحقق، وليس غرضاً خالصاً لدراسة آرائه وبيان منهجه في جميع ذلك، وسيأتي توضيح ذلك بأكثر من هذا حين ذكر الدراسات السابقة في هذا المضمار.

٤. إضافة دراسة جديدة للمكتبة الإسلامية ظلت شاغرة منها؛ تتعلق بجانب مهم من ثقافة الإمام الطوفي وهو حقل التفسير وعلوم القرآن، فقد أشبع الباحثون في شخصية الإمام الطوفي جوانب علومه الأخرى كالأصول والفقه والعقيدة واللغة، ولم يحظ التفسير وعلومه بهذا الاهتمام فأردت إكمال اللبنة الناقصة في هذا الصرح العلمي.

٥. محاولة السعي لتقديم دراسة متميزة في علوم القرآن والتفسير، لعالم من فحول علماء الأصول والعقيدة بنظرة جديدة تصطبغ بثقافته المتميزة العميقة، وبمنهج جديد.

الصعوبات التي واجهت الباحث:

هذا البحث يطرق أرضاً بكراً لم تطئها الأقدام، ولم يحرثها الباحثون، فاحتاج الأمر إلى مشقة وعناء في استقراء مؤلفات الإمام الطوفي، وتتبع ما يتعلق بالتفسير وعلوم القرآن من كتبه واستخراج منهجه ودراسة نماذج من ذلك دراسة تحليلية ومقارنتها بجهود المفسرين قبله، وإعداد وتهيئة طائفة كبيرة من المصادر والمراجع في التفسير والعقيدة والحديث والأصول وغيرها لخدمة هذا الغرض، ومن صعوبات البحث التي واجهتها ما تميزت به شخصية

الطوفي من الغموض من جهة سنة الولادة وكذلك سنة الوفاة؟ وما مدى صحة اتهامه بالتشيع؟ وكذلك ما مذهبه الفقهي والعقدي؟

وحاولت في هذه الدراسة الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها: مثل هل يستحق الطوفي أن يوصف بالمفسر؟ وهل له موضع ومكانة بين المفسرين؟ وجعلت ذلك من نتائج البحث.

الدراسات السابقة:

حظيت مؤلفات الإمام الطوفي بالعديد من الدراسات والبحوث، لأن الطوفي من العلماء البارزين الذين أثروا المكتبة الإسلامية بكثير من التصانيف في شتى الفنون، فنال اهتمام الباحثين في مختلف التخصصات، إلا إن جانب التفسير وعلوم القرآن كان الأقل حظاً من هذه الدراسات، وبعد البحث والتحري لم أجد إلا ثلاث دراسات متعلقة بالتفسير وعلوم القرآن، وبعد النظر فيها لم أجدها وافية بالغرض، ولم تسفر عن الجهد الحقيقي للطوفي في التفسير وغيره، ولم تستوف جميع مؤلفات الطوفي إنما هي دراسات جزئية لبعض الجوانب، وهي كالتالي:

١. رسالة دكتوراه بعنوان (معالم التفسير وعلوم القرآن عند الإمام الطوفي في كتابه " الإشارات الإلهية") للباحث فرج حمد سالم الزبيدي، تقدم بها إلى جامعة اليرموك - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - قسم أصول الدين - الأردن - عام ٢٠١٠م، وهي غير منشورة، اطلعت على خطة البحث وملخص الرسالة عبر الإنترنت ووجدت الآتي:

أ. الرسالة عبارة عن بحث تكميلي قرابة (٢٧٠) صفحة لاستكمال متطلبات درجة دكتوراه فلسفة في القرآن وعلومه.

ب. البحث دار حول كتاب واحد فقط من كتب الطوفي وهو كتاب " الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية "، ولم يتعرض الباحث لكتب الطوفي الأخرى في التفسير وعلوم القرآن.

ج. جاء في ملخص الرسالة أن هدفها دراسة كتاب "الإشارات الإلهية" وبيان منهج الطوفي فيه، وذلك في خمسة فصول:

الفصل الأول: التعريف بالإمام الطوفي ، والتعريف بكتاب الإشارات الإلهية.

الفصل الثاني: يتناول منهج الطوفي في تفسيره من خلال كتاب الإشارات، وموقفه من المأثور والرأي واللغة والإسرائيليات.

الفصل الثالث: يتعلق بمسائل علوم القرآن الواردة في كتاب الإشارات الإلهية.

وخصص الفصلان الرابع والخامس لبيان منهج الطوفي فيما يتعلق بالتفسير العقدي والفقهي والأصولي.

د. من خلال العرض السابق يتبين اقتصار البحث على كتاب واحد من جهود الطوفي في التفسير، فلم يكن شاملاً في إعطاء الصورة الحقيقية للتفسير عند الطوفي لاسيما وقد صنف الطوفي تفسيراً لعدة سور من القرآن الكريم بطريقة تختلف كلياً عن طريقته في كتاب "الإشارات

الإلهية"، كما أن هناك آراءً تفسيرية وترجيحات في علوم القرآن مبثوثة ضمن مؤلفاته الكثيرة سواءً المتعلق منها بالتفسير تعلقاً مباشراً أو كتبه في الفنون الأخرىٰ، كما أن الباحث ركّز بحثه في المسائل العقدية والمسائل الأصولية، والفقهية علىٰ حساب التفسير وأصوله، وعلوم القرآن ومسائله، فلم يشف غليلاً في هذا الجانب.

ولهذه الأسباب أحسب أن دراستي ستكون أوفىٰ من حيث الشمولية لاستقراء جميع مؤلفات الطوفي الموجودة، وأعمق من حيث التخصص الدقيق.

٢. رسالة ماجستير بعنوان (استدلال الطوفي بالقرآن الكريم علىٰ المسائل الأصولية في باب دلالات الألفاظ من خلال كتابه " الإشارات الإلهية إلىٰ المباحث الأصولية جمعاً ودراسة ") للباحث علي بن خضران العمري، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٢٧هـ، والرسالة غير منشورة اطلعت عليها في مكتبة الأمير سلطان في الرياض فوجدتها أصولية بحتة، ركز فيها الباحث علىٰ استدلالات الطوفي علىٰ المسائل الأصولية من القرآن الكريم من خلال كتاب " الإشارات الإلهية " ولم يتطرق الباحث إلىٰ كتب الطوفي الأخرىٰ ماعدا شرح مختصر الروضة، لأنه متخصص في أصول الفقه، ولم يتناول الجانب التفسيري عند الطوفي من قريب ولا من بعيد.

٣. رسالة ماجستير بنفس عنوان الرسالة السابقة مع اختلاف الأبواب الأصولية تناول فيها الباحث أبواب الحكم الشرعي، والأدلة والاجتهاد والتقليد من كتاب "الإشارات الإلهية"، وهي للباحث يحيى بن حسين الظلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود، كلية الشريعة، الرياض، وهي غير مطبوعة، ولم أتمكن من الاطلاع عليها، وهي في تخصص أصول الفقه.

هذا ما وقفت عليه من الدراسات ذات الصلة بموضوع البحث، وهي غير كافية في إبراز شخصية الإمام الطوفي المفسر، ولم توفه حقه في بيان جهوده وآرائه في التفسير وعلوم القرآن، وهناك دراسات تناولت جوانب أخرى غير التفسير كالعقيدة والأصول والبلاغة، وهذا جانب منها:

١. كتاب "المصلحة في التشريع الإسلامي، ونجم الدين الطوفي" للدكتور مصطفى زيد، تناول فيها المؤلف مسألة المصلحة المرسلة وموقف الطوفي منها، وترجم للطوفي ترجمة حافلة استفدت منها في بحثي، وأصل الكتاب رسالة ماجستير تقدم بها المؤلف إلى جامعة القاهرة كلية دار العلوم في عام ١٩٥٤م، تولى مناقشتها علماء كبار؛ أمثال الشيخ محمد أبو زهرة، والشيخ محمد الزفزاف، ونال بها درجة الامتياز مع مرتبة الشرف الأولى.

٢. كتاب "منهج الطوفي في تقرير العقيدة" للدكتور إبراهيم بن عبد الله المعثم، وأصل الكتاب رسالة ماجستير تقدم بها الباحث إلى قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض،

وتناول فيه الباحث منهج الطوفي في العقيدة ومنهجه في التلقي والاستدلال والرد على المخالفين.

٣. رسالة ماجستير للباحث جمعان ظاهر الحربش بعنوان (منهج الطوفي الكلامي وتحقيق كتابه حلاّل العقد في أحكام المعتقد) تقدم بها الباحث إلى قسم الفلسفة في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، تناول فيها الباحث منهج الطوفي في علم الكلام والفلسفة والعقيدة وحقق رسالة لطيفة في العقيدة لنجم الدين الطوفي اسمها: (حلاّل العقد في أحكام المعتقد) استفدت منها في جمع جهود الطوفي، وكتاب الطوفي هذا لم يطبع، وتكمن أهميته أن الطوفي رحمه الله أودع فيه آراءه في العقيدة، واستدل لها بالقرآن والسنة، فهو مصدر مفيد لكثير من مسائل التفسير وعلوم القرآن التي تم جمعها للطوفي في هذا البحث.

٤. كتاب "الإمام سليمان الطوفي الحنبلي أصولياً وفقيهاً" للدكتور محمد حمد الغرايبة، عميد البحث العلمي والدراسات العليا والأستاذ في قسم الفقه بكلية الشريعة -جامعة مؤتة- الأردن، والكتاب عبارة عن دراسة لبعض آراء الطوفي الفقهية والأصولية ودراسة لحياة الطوفي الشخصية والعلمية، كما تناول عصر الطوفي بدراسةٍ موسعة استفدت منها في دراستي.

٥. كتاب "الطوفي البغدادي وآراؤه البلاغية والنقدية" للدكتورة أمينة سليم، وهي عبارة عن رسالة دكتوراه في جامعة الأزهر طبعت في القاهرة، والرسالة هي دراسة في النقد والبلاغة.

٦. مقدمة تحقيق كتاب "شرح مختصر روضة الناظر" للدكتور إبراهيم الإبراهيم وهو مطبوع حقق فيه الباحث جزءًا من كتاب " شرح مختصر الروضة " وقدم له بمقدمة اشتملت على ترجمة للإمام الطوفي.

وغيرها كثير من الدراسات والبحوث المحكّمة.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى بيان عدة أمور، أبرزها:

١. إبراز جهود الإمام نجم الدين الطوفي في التفسير، وبيان مكانته العلمية فيه.

٢. إلقاء الضوء على منهجه وأسلوبه في التفسير، فقد ترك الطوفي تركةً علمية كبيرة في التفسير تستحق الدراسة.

٣. دراسة آرائِه في علوم القرآن، فالرجل عالِم محقق، وأصوليّ مدقق، يحقق الأقوال ويمحص الآراء، فكان لزاماً عليّ عرض مسائل علوم القرآن التي تطرق إليها الإمام الطوفي.

٤. الكشف عن القيمة العلمية لمؤلفات الطوفي، في جانب التفسير وعلوم القرآن.

منهج البحث:

أولاً: المنهج العام: سلكت في البحث المناهج العلمية التالية:

١. منهج الاستقراء: وذلك من خلال جمع مؤلفات الطوفي وقراءتها قراءةً متأنية، وتتبع ما له علاقة في التفسير وعلوم القرآن واستخراجه منها .

٢. الدراسة والتحليل، وذلك عن طريق عرض نتائج الاستقراء، ودراسة ما تم استخراجه من نماذج وأمثلة، والتنبيه على المنهج العلمي الذي سلكه الطوفي في ذلك، مع المقارنة والنقد في كثير من الأحيان.

ثانياً: منهج كتابة البحث:

١. توثيق المعلومات الواردة في البحث عن طريق المنهج التالي:

أ. عزو الآيات إلى مواضعها من سور القرآن الكريم وذلك بوضع اسم السورة ورقم الآية بين معقوفتين بجانب الآية [ ] والتزمت كتابة الآيات وفق الرسم العثماني الموجود بالمصحف .

ب. تخريج الأحاديث النبوية المستشهد بها، وكان من منهجي في ذلك أنه إذا كان الحديث في الصحيحين (البخاري ومسلم) أو أحدهما أكتفي بذكر الراوي الأعلى والإشارة إلى موضع الحديث فيهما ورقمه في الهامش، وإذا كان في غيرهما من كتب السنن أذكر المصادر الحديثية التي ورد فيها الحديث مع ذكر حكم أهل العلم عليها قدر الإمكان.

ج. أقوم بنسبة الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين إلى قائليها، وأعزوها إلى مواردها من كتب التفسير بالمأثور أو كتب الحديث والمصنفات.

٢. ألتزم ترجمة الأعلام الذين ورد ذكرهم في كلام الطوفي، مع ذكر المصدر بجانب الترجمة في الهامش.

٣. أقوم بتخريج أبيات الشعر التي استشهد بها الطوفي من مصادرها في كتب اللغة والآداب ودواوين الشعر.

٤. أقوم بتخريج الأمثال الواردة في كلام الطوفي من كتب الأمثال، مع التنبيه على مضربها وموردها.

٥. ألتزم بتوثيق القراءات الواردة في تفسير الطوفي، ومناقشة توجيهاته لبعض هذه القراءات.

٦. أرجع في تفسير الألفاظ الغريبة الواردة في كلام الطوفي إلى معاجم اللغة وأكتبها في الهامش مع المصدر.

٧. أعرّف بالأماكن والبلدان والقبائل والفرق الإسلامية الواردة في كلام الطوفي.

٨. من منهجي في الرجوع إلى المصادر أنني بعد النقل أشير إليه وأذكره في الهامش على النحو التالي: عند استخدامي له لأول مرة أذكر اسم الكتاب

كاملاً واسم المؤلف واسم المحقق وبيانات الطبع مع ذكر الجزء والصفحة.

وإذا استعنت به مرة أخرىٰ أكتفي بذكر الكتاب مع الجزء والصفحة ما لم تتغير الطبعة التي أنقل منها فأبين ذلك، ثم أذكر المصدر أو المرجع ببياناته كاملة في فهرس المراجع والمصادر آخر الرسالة.

٩. ألتزم مراعاة علامات الترقيم في كتابة البحث حتىٰ يتم الترابط بين الجمل والفقرات بشكل يخدم القارئ.

١٠. أقوم بتعريف موجز للمصطلحات العلمية الواردة في كلام الطوفي سواء في العقيدة أو الفقه أو الأصول أو البلاغة واللغة وغير ذلك كما سيأتي.

١١. في نهاية البحث أذكر خاتمة لهذا البحث تشتمل علىٰ خلاصة ما اشتمل عليه البحث مع ذكر أهم النتائج التي توصل إليها البحث ثم أردفها بتوصيات.

١٢. بعد الفراغ من البحث أضع فهرساً عاماً يشتمل علىٰ مجمل الفهارس التفصيلية، ثم أضع فهارس البحث ومن بينها فهرس المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات.